

النحت في نوميديا في القرون الثلاثة الأخيرة ق.م
Sculpture of Numidia in the Last Three
Centuries B.C.

أ/ هند أحمد محمد أبو شاهين

المخلص:

نوميديا هي (الجزائر الحالية) ، لم تحظى الشواهد الحضارية في نوميديا باهتمام كبير من قبل الباحثين والدارسين لآثار شمال أفريقيا ، على الرغم من أن نوميديا تحتوي على الكثير من فنون النحت بأنواعه المختلفة .

اشتمل البحث على مقدمة تاريخية وعرض للنحت في نوميديا في الفترة التاريخية المقترحة وأخيراً دراسة تحليلية للمادة العلمية المتناولة في البحث وقائمة بالصور الواردة في البحث.

Abstract:

Numidia is (Algeria), the civilization in Numidia did not have any concern from the researchers in the art in the North Africa, Although Numidia contains a lot of sculpture forms.

The research contains Historic introduction , the sculpture of Numidia in the last three centuries B.C. , analytical study for data and list for the images in the research.

مقدمة تاريخية:

لقد شهدت منطقة شمال أفريقيا صراعاً سياسياً وجغرافياً في القرون الثلاثة الأخيرة ق.م. وأحداثاً مهمة ما من شك أنها تولد الرغبة عند المواطن والفنان النوميدي في تسجيل هذه الأحداث لكي تُخلد في صورة صلبة للأجيال القادمة ، وقام الفنان بتسجيل هذه الأحداث في فن النحت ، فقام بنحت الصور والتمائيل للملوك والأبطال الذين دافعوا عن الأراضي الإفريقية ، وأيضاً قام المؤرخون والكتّاب في تسجيل هذه الأحداث في المصادر التاريخية المعروفة مثل بليني وديودور الصقلي وسالوست ومنهم من عاش الأحداث ومنهم من كان يكتب مما سمعه من الأجيال السابقة له ويقوم بالتدوين.

إن القرون الثلاثة الأخيرة ق.م في مملكة نوميديا كانت مليئة بالأحداث التاريخية والصراعات السياسية التي ينتج من خلالها احترام للملوك والقادة لقيامهم بحماية الوطن ضد التدخل الخارجي سواء من قرطاجة أو التدخل الروماني ، وكتبت عنه المصادر الأدبية كثيراً .
تنتمي نوميديا إلى أقطار شمال أفريقيا وتحديداً تقع في الجزء الشمالي الغربي منها الذي يطل على المحيط الأطلسي، وهي دولة الجزائر الحالية⁽¹⁾.
قد تحدث جغرافيو اليونان القدماء على بلاد شمال أفريقيا الغربية وقسموها إلى خمسة أقسام هي:

- ١ - إقليم بونيقيا أو (فينيقيا) : ويشمل مدينة قرطاجة وما حولها .
- ٢ - إقليم نوميديا الشرقية (ماسيليا) : ويشمل غرب بلاد تونس الحالية وشرق ولاية قسنطينة.
- ٣ - إقليم نوميديا الغربية (ماسيسيليا) : ويشمل ولاية قسنطينة وولايتي الجزائر ووهران إلى وادي ملوية.
- ٤ - إقليم موريتانيا : ويمتد من وادي ملوية إلى شواطئ المحيط الأطلسي .
- ٥ - إقليم جيتوليا : ويشمل صحراء نوميديا بقسميها وموريتانيا .

(1) هند أحمد أبو شاهين، النحت في نوميديا في القرون الثلاثة الأخيرة ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ٢٠١٦، ٥ - ٦.

- المقصود بنوميديا :

نوميديا هي مملكة أمازيغية قديمة عاصمتها سيرتا (قسنطينة) كان يسكنها المازاسيليون غرباً ويسكنها الماسيليون في الشرق .

عُرفت نوميديا في كتابات المؤرخين القدماء بأسماء عديدة واختلفت في تسميتها المصادر الإغريقية واللاتينية، ففي المصادر الإغريقية كان اسم نوميديا اسماً وصفاً يعني نمطاً في الحياة ينطبق على البدو الرحل.

فقد وصف هيرودوتس شعوب الاوزاس والمكلياس الليبية بالرحل واستعمله آخرون بنفس المعنى ثم تطورت التسمية فظهرت في المصادر وكأنها تدل على شعب أو شعوب كانت تعيش في شمال أفريقيا ، وقد عرف الإغريق سكان شمال أفريقيا بهذا الاسم منذ استيطانهم في المنطقة وتعاملهم مع سكانها ، ولم يظهر الاسم في الكتابات التاريخية إلا في القرن الخامس ق.م عندما أشار ديودور الصقلي⁽²⁾ نقلاً عن مصدر يرجع إلى القرن الثالث ق.م (أن النوميديين شاركوا في حروب جرت في نهاية القرن الخامس وأوائل القرن الرابع ق.م).

أما المصادر اللاتينية فقد أطلقت اسم نوميديا على سكان شمال أفريقيا إبان حروبهم مع قرطاجة التي عرفت بالحروب البونية وجرت أحداثها إلى القرن الثاني ق.م، وقد اختلف المؤرخون في تحديد المنطقة التي تسمى (نوميديا)، فعند ديودور الصقلي ، النوميديون هم قوم عاشوا في أواخر القرن الرابع ق.م في جزء كبير من ليبيا يمتد حتى الصحراء، أما بوليبيوس فقد أطلق هذه التسمية على سكان شمال أفريقيا عامة في المنطقة الممتدة من ليبيا حتى المغرب الأقصى، إلا أن سالوستيوس فقد خصّ بهذه التسمية فقط سكان لبدّة الواقعة بين خليجي سرت لكن التسمية اقتصرت فيما بعد على سكان المنطقة الواقعة بين مملكة مور⁽³⁾ والأراضي القرطاجية وفي القرن الثالث ق.م ومع قيام المملكتين المازاسيلية والماسيلية، اطلق المؤرخون الإغريق والرومان على ملوك المنطقة اسم ملوك نوميديا، ففي عهد الملك ماسينيسا وبعد أن قضى على مملكة سيفاكس امتد نفوذه من طبرق شرقاً حتى نهر الملوية غرباً وأصبحت البلاد الممتدة بين هذين الحدّين تحمل اسم نوميديا وشاع الاسم بهذا المعنى في المصادر اللاتينية منذ عهد ماسينيسا .

(2)DiodorusSiculus, Bibliotheca, (n.p).

(3) مملكة موريتانيا القيصرية واشهر ملوكها بوخوس (٤٩-٣٣) ق.م.

وبالانتقال إلى عصر الاحتلال الروماني فقد أصبح اسم نوميديا يُطلق على المنطقة التي تعرف حالياً بالشرق الجزائري يحدها شرقاً نهر التوسكا قرب طبرق وغرباً رأس التريتون (رأس بوجرون) في شبه جزيرة القل، ويعتمد كامبس الذي تخصص في دراسة أصل البربر أن تسميه "النوميد" هي من أصل إفريقي محلي بدليل استمرار وجود قبائل تحمل هذا الاسم في العصر الروماني ووجود شعب النومادي في موريتانيا حتى الآن .^(٤)

أما حالياً فتقع نوميديا إلى الغرب من ولاية أفريقيا البروقنصلية^(٥) بعاصمتها قرطاجنة ويفصلها عنها نهر توسكا وتحدها من الغرب ولاية موريتانيا القيصرية بينما يحدها شمالاً البحر المتوسط وجنوباً الصحراء^(٦)، وتنقسم نوميديا إلى مملكتين هما المملكة المازاسيلية والمملكة الماسيلية : انظر الخريطة رقم (١) .



خريطة (١):

-
- (4) فتحية فرحاتي ، نوميديا: من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني الحياة السياسية والحضارية ٢١٣ ق.م / ٤٦ ق.م، منشورات أبيك ، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٢١ - ٢٣ .
- (5) تونس الحالية وطرابلس وبعض أجزاء أخرى من الجزائر الحالية .
- (6) منال أبو القاسم، خصائص العمارة في ولاية نوميديا، ص ١٥ .

أولاً نحت الصور الشخصية والتمثيل في نوميديا:

- نحت الصور الشخصية (فن البورتريه):

كان للنحت الهلينيستي عدة خصائص اتبعها فنانو العصر الهلينيستي في نحت الصور الشخصية أو (فن البورتريه)، وكانت أبرز هذه الخصائص في نحت الصور الشخصية للإسكندر الأكبر والذي اتبعها الفنان الكلاسيكي ليسيوس وطورها من بعده فنانو مدرسة الإسكندرية، والتي كانت أبرز المدارس الفنية تأثيراً على نحت نوميديا.

ظهرت هذه الخصائص الفنية في نحت نوميديا في كتالوج الصور الملحق بالبحث في أمثلة

نحت الصور الشخصية كالتالي:

- في صورة (١):

- ترجع هذه الصور إلى القرن الثاني ق.م، وهي تمثل نحت لوجه رجلٍ ، يُلاحظ أن المادة المستخدمة في النحت هي الحجر الجيري ويبدو أن أسلوب النحت المتبع فيهما غير دقيق حيث أنهما توضح فن النحت النوميدي في أوقاته المبكرة متأثراً بالفن الإتروسكي، فتظهر الرأس بشكل غير بديع أو ملفت للنظر ولكنها توضح سمات الفن النوميدي في الفترة المبكرة، ولكن يمكن أن نستنتج بعض الملامح الموضحة فيها :

الوصف:بها حية، عينان جاحظتان وقريبة من بعضها، على الرأس اكليل من الزهور ويظهر الشعر وكأنه كتلة واحدة تبدأ تسريحة الشعر من منتصف الجبين، الأنف والفم متوسطتان الحجم، والجبهة بارزة ومتوسطة الحجم، تظهر السمات الملكية التي انتشرت في عهد الملكين ماسينيسا وفرمينيا .



صورة (١) : رأس لرجل.

- بدأت سمات العصر الهلنستي في نحت البورتريهات تظهر في القرن الأول ق.م في نوميديا، وتمثل الصور الشخصية المنحوتة للملوك والملكات خصائص مدرسة الإسكندرية الفنية وهي كالآتي :

صورة (٢) :

الوصف : صورة شخصية للملكة كليوباترا سليبي ابنة الملكة كليوباترا السابعة وزوجة الملك يوبا الثاني، توضح تطور أساليب النحت في نوميديا ، فتظهر هذه السمات في صقل الصورة بشكل جيد، ووضوح الملامح ، و مادة الصنع الرخام (المرمر) وقد استخدم الرخام بكثرة في نحت الصور الشخصية في هذه الفترة، ويظهر الشعر مصففاً بشكل مختلف فتوجد ضفيرة على الجبين في مقدمة الرأس وبعد ذلك صممت التسريحة بشكل بطيخة، ويظهر زيادة التكوين اللحمي بالوجه.^(٧)

(7) Sintes , C. et Rebahi , Y. , Algérie Antique , Musée de l'Arles, Algérie, 2003, 53.



صورة (٢) : الملكة كليوباترا سيليني

- الصور الشخصية للملك نوميديا:

- صورة (٣):

- صور الملك يوبا الثاني (٢٥ ق.م - ٢٣ م):

إن الملك يوبا الثاني قد تربى في روما ، وتعلم أصول التربية للملوك وصار مثقفاً بشكل كبير، وتأثر بالحياة الرومانية كثيراً وتزوج من ابنة كليوباترا السابعة وهي كليوباترا سيليني ، وبعد كل ذلك ودخول أغسطس إلى شمال أفريقيا أعاد ليوبا الثاني مملكة أبيه يوبا الأول الذي انتحر حسرةً على هزيمته من الرومان، وذلك بعد أن تأكد أغسطس من ولاء يوبا الثاني لروما، ومن ثمَّ لا بد أن يتأثر يوبا الثاني بالصور الشخصية الرومانية وخاصة صور أغسطس، والتي صورتها في قمة مثاليته وشبابه مما يدل على القوة والرقى^(٨).

(8) هند أحمد أبو شاهين ، النحت في نوميديا ، ٤٧ ، ٤٨ .



صورة (٣): الملك يوبا الثاني

- ثانياً : التماثيل :

صورة (٤):

تماثال Prima- Porta :

الوصف : هو نحت لأوغسطس بالزي الحربي ، ونحت منه عدة نسخ وكان أهمها تلك الموجودة في روما وبجانبه إيروس رمز العائلة اليوليانية ، وكان لهذا التمثال أيضاً نسخة في شرشال ، ولكن رأسه مفقودة ، وساقه اليميني تقف على حامل حديدي وليس معه إيروس لكي يستند عليه. (٩)

بدخول الرومان إلى شمال أفريقيا أصبحت التأثيرات الرومانية تصل إلى كل أجزاء شمال أفريقيا ، وبدأت الولايات الإفريقية تحاول التقرب من الإمبراطور ، واستطاع الفنان في هذا المكان تقليد النسخة الأصلية كما هي ولكن باختلافات بسيطة ، فبدلاً من استخدام إيروس مثل النسخة الأصلية وضع بجانبه نصف عمود عليه بعض الزخرفة ، وأيضاً وضع الرداء يختلف عن النسخة

(9) Anissa Mohamedi, *Cherchel, Algerienne Democratique et Populaire*, Algér, 1983, 37-38.

الأصلية فهنا توضع على الكتف بدلاً من أن يكون حول الخصر ، ولا يمسك في يده عصاه مثل النسخة الأصلية ، ولكن تقاربت بشدة الزخرفة على الدرع الحربي الذي يرتديه في النسختين.



صورة (٤): تمثال Prima – Porta في شرشال .

- ثالثاً : النحت البارز (اللوحات النذرية – شواهد القبور):

- صورة (٥):

الوصف : أخذ شكل اللوحة الشكل المثلث وانقسم النحت إلى جزئين في الجزء الأول الإلهة تانيت بشكلها المثلث يمثل الجسم وفوقها القرص يمثل الوجه ويدها مرفوعتان وبجانبتها صولجان هيرمس ، وفي الجزء الثاني يظهر حيوان الحمل وأسفله نقش يوضح أن اللوحة النذرية للإلهة بعل حامون^(١٠).

(10)Horn, H.G. &Rüger , Ch. B. *Die Numider :Reiter Und Könige Nördlich DerSahara* , Rheinland – Verlag, Köln ,1979, 552- 553.



صورة (٥) لوحة نذرية للإله بعل حامون.

- صورة (٦):

الوصف : شاهد قبراً يصور متسابقاً في مسابقة خيل بين القبائل المازاسيلية والماسيلية يوضح ذلك نقش موجود بجانب الساعد الأيمن له ، ويصوره وهو يمتطي الخيل ، ويشير بيده اليمنى ويحمل بيده اليسرى درع المسابقة (الجائزة) وهو عبارة عن دائرة ويخترقها ثلاثة رماح ، ويظهر على مؤخرة الحصان رجل صغير جدا ويصور وهو طائر في الهواء ويمسك في يده اليمنى أداة الصيد ، ويوجد نعام قبل رأس الحصان ، ويظهر أيضا كلب ، وهذه الأشياء تظهر صغيرة ليكون التركيز على المتسابق والصيد أكثر. (١١)



- صورة (٦) شاهد قبر.

(11)Horn &Rüger,Die Numider,580- 581.

- دراسة تحليلية:

١- لم تذكر المصادر أية نواحٍ فنية عن نوميديا ولكن كان اهتمامها الأكبر بالنواحي التاريخية والحروب والتراعات بين أقطار شمال أفريقيا والرومان واتحاد بعض من هذه الأقطار مع روما ضد الأقطار الأخرى والعكس ، وأيضاً الصراعات التي حدثت على السلطنة في نوميديا وموريتانيا ومن أبرز المصادر التي تحدثت عن نوميديا هي للمؤرخين (سالوست ، بليبي ، ديودور الصقلي) ولم تعطِ الناحية الفنية حقها ولم تذكر أسماء فنانيين نوميديين بعينهم ، ولكن يرجح أن الملوك وبخاصة الملك يوبا الثاني استعان بفنانين من مدرسة الإسكندرية لكي يقوموا بعمل الأعمال الفنية المنحوتة على الأنساق المعروفة فيها.

٢- ظهر أن بداية النحت النوميدي والذي يرجع للقرنين الثالث والثاني ق.م كان من الحجر الجيري وذلك كان في صورة (١) ، ويظهر النحت غير متقن أو دقيق ، ولكن من الممكن أن يستنتج بعض السمات الأساسية للفن النوميدي فكانت (العيون جاحظة وبارزة ، والنحت غير مصقول بشكل جيد مما جعل الشكل النهائي ردتاً ، حيث الأنف كبير وطويل والشفاه حجمها صغير ولكنها ممتلئة فهذا الأمر يعبر عن الواقعية ، وكان النحت في هذه الفترة متأثراً بفن شبه الجزيرة الإيبيرية والذي وصل إليه عن طريق التجار النوميديين المترددين عليها عن طريق البحر، وبعد ذلك استخدم الفنان الرخام والمرمر بصورة مستمرة في نحت الصور والتماثيل وذلك كان في الصور (٢، ٤).

٣- كانت مدرسة الإسكندرية هي المدرسة الفنية المؤثرة في النحت النوميدي وأيضاً تأثير فنانيين العصر الكلاسيكي الرابع ق.م وذلك ظهر في الصور (٢، ٣) .

٤- ظهر تأثير نحت التماثيل للأباطرة من خلال صورة (٤) Prima- Porta والذي عشر على نسخة منه في شرشال .

٥- بدأ ظهور نحت ملوك نوميديا في صور شخصية منذ تولي الملك يوبا الثاني العرش في (٢٥ ق.م - ٢٣ م) ومن بعدها ظهرت الطرز والأنواع المختلفة .

- دراسة التأثيرات الخارجية على النحت الحجري في نوميديا :

٦- في صورة (١) تأثيرات شبه الجزيرة الإيبيرية : العيون جاحظة وبارزة ، والنحت غير مصقول جيداً مما جعل الشكل النهائي رديئاً ، الأنف كبير وطويل والشفاه حجمها صغير ولكن ممتلئة فهذا يعبر عن الواقعية .

٧- صورة (٢) صورة للملكة كليوباترا السابعة ترجع للقرن الأول ق.م ، تتشابه هذه الصورة مع صورة إلهة ترجع إلى ٢٠٠ ق.م وتظهر سمات العصر الهلنستي ربما تكون الإلهة برسيفوني وهي نسخة هلينستية أصلية عثر عليها في آسيا الصغرى:



- صورة شخصية للإلهة برسيفوني .

- ظهر التشابه هنا من خلال تسريحة الشعر مع فرق الضفيرة الموجودة على الجبين في مقدمة الشعر في صورة الملكة كليوباترا ، شكل العيون حاملة غير غائرة مما يمثل أسلوب براكسيستيليس بالنظرة الحاملة المعروفة عنه محدقة وقريبة في شكل بعضها البعض ولكن تختلف في اتجاه النظرة فالملكة كليوباترا تنظر إلى أعلى على عكس الإلهة فنظرة عيونها تتجه إلى أسفل ، الأنف

في الصورتين متقارب بفرق اتجاه الرأس ذاتها إلى أعلى في رأس الملكة كليوباترا مما يعطي إيحاء بأن الأنف مرفوع ، شكل الشفاه أيضاً موحد في الصورتين لكن مع زيادة التشكيل اللحمي عند الإلهة فتصبح غليظة قليلاً عن شفاه الملكة ، السطحان مصقولان جيداً والملامح رقيقة مما أضفي المثالية اليونانية كثيراً.

- التأثيرات الخارجية على شواهد القبور واللوحات النذرية :

٨- تأثر الفنان النوميدي بالآلهة اليونانية في نحت اللوحات النذرية للإله بعل حامون والإله تانيت فصور صولجان الإله هيرمس مع الإله تانيت ليظهر معها كمخصصات آلهة يونانية وظهر في صور (٥).

٩- إن الإله بعل والإلهة تانيت هما إلهان شرقيان فظهر التأثير المحلي المصري في اسناد اسم آمون أو حامون إلى الإله بعل بعد أن ذاع صيته في كل أرجاء امبراطورية الإسكندر وزيارته للواحة ، وظهر التأثير الفنيقي إذ إن في الأساس هذين الإلهين فنيقيين و ترجع تاريخ عبادتهما إلى القرن الخامس ق.م. ، وكانت المادة الأساسية لنحت اللوحات النذرية هي الحجر الجيري وقد اشتهرت به شمال أفريقيا .

قائمة باللوحات الموجودة في البحث :

رقم الصورة	رقم الصفحة	الفترة الزمنية	نقلًا عن	ملاحظات
خريطة رقم (١)	٥	عصر الملوك (العصر الهلنستي)		توضح الملكين المازاسيلية والماسيلية وبعض المدن.
١	٧	ترجع إلى القرن الثاني ق.م	H.G. Horn & Ch. B. Rüger, Die Numider, 458 - 460	رأس منحوتة لرجل ، عثر عليها في مدينة سيجا ، من الحجر الجيري.
٢	٨	ترجع إلى القرن الأول ق.م	JohnPope-Hennessy, Classical Sculpture,fig. 264.	صورة شخصية للملكة كليوباترا السابعة، عثر عليها في شرشال ، من المرمر.
٣	٩	يرجع إلى أواخر القرن الأول ق.م	Mohamedi, Cherchel, 37-38.	تمثال بالدرع الحربي لأوكتافيوس(أوغسطس) (PRIMA PORTA) ، عثر عليه في مدينة شرشال ، من المرمر.
٤	١٠	يرجع إلى ٢٥ ق.م	Horn& Rüger, Die Numider: 492 – 493.	تمثال نصفي للملك يوبا الثاني (النوع الأول) ، عثر عليه في Volubilis ، من البرونز.
٥	١٠	ترجع إلى القرن الثالث ق.م	Horn & Rüger, Die Numider, 552- 553.	لوحة نذرية لبعل آمون، من الحجر الجيري، عثر عليه في El-Hofra.
٦	١١	يرجع إلى القرن الثاني ق.م	Horn & Rüger, Die Numider,580- 581.	شاهد قبر من Abizar، من الحجر الرملي ، عثر عليه في Abizar .

